

لینین

1924 - 1870

افتتح لينين القرن العشرين بثورة هي الأولى من نوعها في تاريخ الإنسانية. إنها ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى. وأسس أول دولة إشتراكية في التاريخ على قاعدة الأفكار التي حملها للثورة خلال التحضير لها على امتداد عقد ونيف من الزمن. كان همه الأساسي، منذ أن انضم إلى الإشتراكية بمرجعيتها الماركسية في مطلع شبابه، العمل على نقل مشروع ماركس لتغيير العالم باسم الإشتراكية من الأفكار المجردة إلى الواقع، إلى التحقق في المكان وفي الزمان وفي شروطهما. واختار منذ البداية وطنه روسيا مكاناً محدداً لتحقيق تلك الأفكار. واختار مطلع القرن العشرين زماناً محدداً لذلك الإختبار. لقد رأى، وهو يعمق قراءته لأفكار ماركس ويعمق قراءته للوضع في روسيا، أن الشروط كانت متوفرة في بلده في ذلك الزمان بالتحديد لاقتحام التجربة. كانت الحركة الثورية تعم أوروبا منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر بأشكال وصيغ وشعارات شتى. وكان بعضها يستلهم تجربة كومونة باريس ويحاول تجاوزها وفق شروط تاريخية مختلفة. كانت روسيا أحد مواطن تلك الحركة الثورية. لكنها اتخذت طابع العمل الإرهابي والإغتيالات التي كان أحد أبطالها وأحد ضحاياها الشقيق الأكبر للينين. فنأى لينين بنفسه عن تلك الصيغة من العمل الثوري. وصارت الإشتراكية هي الصيغة التي اختارها لثورته ولتجربته في خوض غمارها. وسرعان ما أصبح منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين صاحب مشروع إشتراكي بدأ يحدد له طبيعته وأهدافه وأدواته في عدد من الكتب والأبحاث التي صاغ مواقفه فيها في ضوء قراءته لواقع روسيا الإقتصادي والإجتماعي ولواقع الحركة الثورية الصاعدة في تلك الحقبة التاريخية. كان الكتاب الأول من بين تلك الكتب "من هم أصدقاء الشعب" الصادر في عام 1894. وكان الكتاب الثاني "ما العمل" الصادر في عام 1902. أما أبحاثه ومقالاته الأساسية في تلك الحقبة فأهمها ثلاثة: "برنامجنا" الذي نشره في عام 1894، و"مساهمة في وصف الرومانسية الإقتصادية" الذي نشره في عام 1897، و"بماذا

نبدأ" الذي نشره في عام 1901. لم يكن منظراً بالمعنى الدقيق للكلمة، رغم أنه كان يوحي بذلك في كتبه وكتابه. كان براغماتياً. وكان يغير مواقفه وفق الظروف الجديدة الناشئة. لكنه كان يرمي من إضفاء الطابع النظري على بعض كتاباته إلى جعل أفكاره فيها موازية لأفكار ماركس. وهو ما صار يعرف باللينينية، التي تحولت بعد وفاته إلى نظرية موازية للماركسية ومكملة لها ومستندة إليها ومتجاوزة لها في التجربة وفي الممارسة.

ولد فلاديمير إيليتش أوليانوف (لينين) في الثاني والعشرين من شهر نيسان من عام 1870 في مدينة سيمبرسك الواقعة على نهر الفولغا. والداه كانا من المثقفين الروس الذين كانوا ينتمون إلى البرجوازية الصغيرة. تمكن والده بجهود مضنية من متابعة دراسته الجامعية في مدينة قازان، وتخرج من الجامعة للعمل في تدريس مادتي الرياضيات والفيزياء في إحدى المدارس الثانوية. قاده سنوات التدريس إلى أن يحوز على لقب نبيل. ترك التدريس في عام 1869 ليصبح مفتشاً عاماً في البداية، ثم مديراً عاماً للمدارس الابتدائية في منطقة سيمبرسك. عمل جاهداً بكل طاقاته لنشر التعليم في المنطقة في ظروف صعبة كانت تسببها له التقاليد الرجعية السائدة في الريف. أما والدته لينين فكانت ابنة طبيب. حصلت على التعليم في منزل العائلة. وظلت تتابع دراستها بوسائلها الخاصة. وتمكنت من تعلم وإتقان عدة لغات أجنبية علمتها لأولادها. وكانت تحب الموسيقى وتعزف على البيانو. وكانت تقرأ كثيراً. وتمكنت بجهداها الخاص أن تتال شهادة دبلوم في التعليم. وصارت مثل زوجها مهمومة بنشر التعليم في منطقتها. لكنها لم تمارس مهنة التعليم. وركزت كل اهتمامها على تعليم أولادها. وسهر الأبوان على تربية أولادهما في شكل يمكنهم من الدخول في الحياة بكفاءة وفي الإتجاه الصحيح.

دخل فلاديمير وهو في التاسعة من عمره في مدرسة الليسيه في المدينة. وأنهى دراسته في المدرسة ذاتها في السابعة عشرة من عمره. وكان خلال دراسته مجتهداً شديد الطموح لامتلاك المعرفة. ورافقه سعيه الجاد لامتلاك المعرفة في جميع المراحل اللاحقة

من حياته. كان إجتماعياً منذ شبابه الباكر. وكان شديد الحساسية لما كان يجري حوله من أحداث. لكن العناصر الأساسية التي ساهمت في تكوين شخصيته في مرحلة شبابه الأولى لم تأت من المدرسة. بل هي جاءت من محيط العائلة، من شخصية والديه، ومن القراءات التي كان قد بدأ يمارسها بشغف في مكتبة العائلة. وكانت تحفل بالكتب الثورية التي كانت سائدة في تلك الحقبة من تاريخ روسيا. وكان أصحابها من كبار المثقفين الثوريين الروس في الآداب والفنون وفي شتى مجالات المعرفة.

كان الشقيق الأكبر للينين ألكسندر يمثل بالنسبة إليه شخصية قوية ومؤثرة. وبواسطة ألكسندر تعرف على الماركسية. وفي مكتبة شقيقه ألكسندر رأى لأول مرة في حياته كتاب كارل ماركس "رأس المال". سار لينين على خطى شقيقه ألكسندر في الحزم والإقدام وفي التواضع وفي الأخلاق. ومنذ شبابه الباكر، اقتداءً بشقيقه ألكسندر، بدأ لينين يراكم في عقله وفي وجدانه معطيات الواقع الذي كان يعيش فيه والأحداث التي كانت تدور حوله. وقرر بشجاعة، ضد مظاهر النفاق التي كان يراها من حوله، قطع صلته بالدين. تعرف من والده إلى حياة شعبه الروسي في الفقر وفي الإستغلال وفي الجهل، وتعرف إلى الحياة البائسة للأقليات القومية التي كانت تتشكل منها الدولة الروسية. فقادته معرفته بتلك الوقائع إلى بدايات تكون الثورة الكامنة في داخله. كانت تكثر الأسئلة عنده حول كل شيء. فكان يلجأ إلى القراءة في الكتب بحثاً عن أجوبة تشفي رغبته في المعرفة. ووجد بعضاً مما كان يبحث عنه في كتب كبار أدباء ومفكري تلك الحقبة في تاريخ روسيا: بوشكين ولرنمنتوف وغوغول وتورغنيف ونكراسوف وتولستوي وبيلينسكي وتشيرنيسفسكي وهرتزن وآخرين. وقد أسهمت قراءاته في كتب وكتابات تلك الكوكبة من كبار الأدباء والمفكرين في تأجيج روح الثورة داخله ضد النظام القيصري السائد. كما كان يتابع قراءة المقالات والقصائد التي كانت تنشرها مجلة "الإسكرا" الواسعة الإنتشار. وهي مجلة كانت تعبر في ذلك الحين عن الموقف الرافض لعودة روسيا إلى زمن العبودية، وتدعو إلى ليبرالية برجوازية أرستقراطية.

واجهت لينين وهو في السادسة عشرة والسابعة عشرة من عمره حادثان متتاليان شديداً الوطأة عليه وشديداً الإيلام اهتز لهما كيانه. تمثلت الحادثة الأولى بالموت المفاجئ لوالده في عام 1886. أما الحادثة الثانية الأكثر إيلاماً فتمثلت في نبأ إيقاف شقيقه ألكسندر في أعقاب محاولة اغتيال القيصر التي كان ضالماً فيها. وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم. ولم يكن يتصور لينين أن شقيقه الذي كان بالنسبة إليه مثاله الأعلى كان عضواً في خلية سرية، وأنه كان من أنصار ذلك العمل الإرهابي باسم الثورة على النظام، الثورة التي كان يشاركه الشعور بضرورتها والعمل لإنضاج شروطها. وفي وسط آلامه التي هزت عقله ووجدانه أعلن بشجاعة وبحزم أنه لن يسلك طريق شقيقه ألكسندر. قال بوضوح: "كلا لن نسلك هذا الطريق. فليس هذا الطريق طريقنا".

واجه لينين الكارثة التي أصابته بريادة جأش. وتابع دروسه بجهد وجد. ونجح في الإمتحان النهائي بامتياز. وحصل على ميدالية ذهبية بعد تردد من قبل الإدارة لكونه شقيق "الإرهابي" ألكسندر. إذ انتصرت في النقاش حول مسألة الميدالية كفاءة الطالب المميزة. وهو كان الأصغر سناً بين زملائه. انتقل مع العائلة إلى قازان حيث تابع دراسته الجامعية. واختار الحقوق مادة لتخصصه. إذ رأى، بعد كل ما شاهده من أحداث وما اختمر في وجدانه من مشاعر، أن العمل الثوري يتطلب منه دراسة القانون والإقتصاد السياسي. انتمى خلال دراسته في الجامعة إلى رابطة الطلاب الليبراليين التي كانت تمارس نشاطها في شكل سري، نظراً لأن السلطات القيصرية كانت قد منعت تشكيل منظمات طلابية في الجامعات. واحتجاجاً على ذلك القانون نظمت الرابطة اجتماعاً حاشداً في قاعة الإحتفالات في الجامعة أعرب فيه الطلاب بجرأة عن مواقفهم الراضة لذلك القرار. وكان لينين من أكثرهم حماسة. وخوفاً من النتائج التي كان يمكن أن تقود إليها حركة الطلاب تلك أرسلت السلطات قوات عسكرية بالقرب من الجامعة. الأمر الذي أثار الطلاب، وأثار لينين بالتحديد.

لم يطق الفتى أن يبقى في ظل ذلك النوع من الحصار للجامعة. فتقدم من رئيس الجامعة بطلب إعفائه من الإستمرار في دراسته. لكنه فوجئ بقرار اعتقاله. بعد خروجه من السجن وجواباً على أسئلة طرحها عليه رفاقه في الجامعة حول طرق العمل التي عليهم أن يسلكوها في مواجهة الوضع الذي كانوا يعانون منه، أكد الفتى ابن السابعة عشرة من العمر لرفاقه أن الطريق الوحيد للعمل لمواجهة ذلك الوضع هو الطريق الثوري. وقادته مواقفه المعلنة تلك إلى إخراجهم من الجامعة، وإلى نفيه خارج مدينة قازان إلى قرية كوكيتسكين. وفرضت عليه إقامة جبرية في القرية بموجب قرار اتخذته السلطات في قازان لمحاصرته. وهكذا تعدد لينين منذ ذلك التاريخ مناضلاً ثورياً. استفاد لينين من تلك الإقامة في القرية لتعميق ثقافته ومعارفه. تابع قراءته في ميدان تخصصه مضيفاً إليها قراءات لكبار الثوريين الروس وفي مقدمتهم نكراسوف وتشيرنيشفسكي ودبروليوفوف، ممسكاً القلم بيده لتسجيل الأفكار التي كان يسجلها خلال قراءته. وكان من أكثر الكتب التي قرأها في تلك الفترة رواية "ما العمل؟" لتشيرنيشفسكي التي عبّر فيها ذلك الثوري الروسي الكبير في شكل روائي عن أفكاره الثورية. وكانت تلك الرواية أول عمل أدبي يقدم للقارئ صورة عن الثوري الروسي المناضل من أجل الحرية والسعادة للشعب.

أقام لينين في منفاه عاماً كاملاً. عاد بعد ذلك إلى قازان. لكنه منع من دخول الجامعة أولاً بسبب نشاطه، ثم لكونه شقيق ألكسندر. فطلب السماح له بالسفر إلى خارج البلاد. لكن السلطات رفضت منحه جواز سفر. انضم على الفور إلى إحدى الحلقات الماركسية السرية التي كانت منتشرة في مدينة قازان. وكانت تلك الحلقات تدرس وتناقش مؤلفات ماركس وإنجلز. كما كانت تدرس وتناقش أفكار بليخانوف المعارضة للشعوبيين. وكانت أفكار الشعبوية سائدة في ذلك الحين. وكان المنتمون إليها يعتبرون أن الرأسمالية في روسيا حالة غريبة عن البلاد ولا أفق لها لأنها مزروعة من الخارج، وأن الإشتراكية

سنأتي إلى روسيا من خلال دور أساسي للفلاحين الذين هم وحدهم مؤهلون لتلك المهمة بالتعاون الوثيق مع الإرهابيين الثوريين.

كان بليخانوف في ذلك الحين يقيم خارج روسيا. وكان معروفاً بثقافته الماركسية الواسعة والعميقة. كان يقرأ كتابات ماركس بصورة دائمة. وكان قد أسس مع عدد من رفاقه في عام 1883 أول منظمة ماركسية روسية في المنفى تحت اسم "تحرير العمل". وكانت وظيفتها العمل على تعميم أفكار الماركسية في روسيا. وكانت المطبوعات التي تصدرها في المنفى ترسل في شكل سري إلى داخل البلاد. وكان الثوري فيدوسييف من أوائل الذين أعلنوا انتماءهم إلى الفكر الماركسي. وكان عضواً في الحلقات السرية في قازان. كانت السرية تقضي بعدم تعرف أعضاء الخلايا بعضهم على بعض إلا في الحلقة الخاصة بكل منهم. لذلك لم تتح للينين الفرصة للتعرف على ذلك الماركسي الرائد فيدوسييف. كما لم تتح له الفرصة للتعرف على مكسيم غوركي الذي كان، وهو العامل في أحد المخابز في ذلك الحين، عضواً في إحدى تلك الحلقات الماركسية السرية.

تابع لينين في قازان تعميق دراسته للماركسية قارئاً باهتمام كتاب "رأس المال" وكتباً أخرى لماركس. وأقام علاقات وثيقة مع عدد من الشباب الذين كانوا مثله ينتمون إلى الماركسية ويتابعون تعميق قراءاتهم لأفكار ماركس.

انتقلت العائلة في مطلع عام 1889 من قازان إلى مدينة سمارة. وفي ذلك الوقت بالذات اكتشفت السلطات الحلقات الماركسية والأماكن التي كانت تجتمع فيها في قازان. وتم اعتقال فيدوسييف وبعض أعضاء الحلقة التي كان يلتقي فيها لينين. وأُنقذ لينين من الإعتقال خروجه من قازان وسفره إلى سمارة. بعد وصوله إلى سمارة بدأ لينين يبحث عن عمل بتقديم دروس خاصة للطلاب في منازلهم. وطلب من الجامعة أن تسمح له بتقديم الإمتحانات النهائية للحصول على الشهادة. فلم يسمح له بذلك إلا في عام 1890.

وتمكن من النجاح بامتياز في الإمتحانات النهائية في جامعة بطرسبورغ. وخلال وجوده في العاصمة أقام علاقات مع الحلقات الماركسية فيها. بدأ العمل في مطلع عام 1892 في أحد مكاتب المحاماة كمتدرب. ثم صار يترافع في المحاكم خلال العام ذاته وفي العام الذي تلاه (1893). لكن مهنة المحاماة لم ترق له. وفضل عليها متابعة تعميق معارفه في الماركسية استعداداً لبدء النشاط في العمل الثوري. وكان قد تعرف لدى وصوله إلى سمارة على الحلقات الماركسية فيها. وكان معظم أعضاء تلك الحلقات من الشعبويين. ورغم أنه لم يشاركهم مواقفهم إلا أنه كان يرى فيهم ثوريين شجعاناً. قرأ تجاربهم القديمة والحديثة، في العمل السري وفيما يتصل بالنضال الثوري وبتنظيم العمل فيه. واستخدم كل معارفه وكل وسائل الإقناع في علاقاته مع أعضاء الحلقة التي مارس نقاشاته فيها. وتمكن من كسب عدد من الشعبويين إلى أفكاره ومواقفه المتعارضة مع الشعبوية والشعبويين. وخلال وجوده في سمارة ترجم إلى الروسية "البيان الشيوعي". وبدأ ينشر المخطوطة داخل الحلقات الماركسية. وفي عام 1892 أسس حلقة ماركسية على قاعدة أفكاره. وبدأ يدرس مع رفاقه في الحلقة عدداً من كتب ماركس وانجلز وبليخانوف. وأطلع رفاقه على بعض المقالات التي كان قد كتبها ضد الشعبويين. وسرعان ما صار يكتب وينشر مقالات يشرح فيها تعاليم الماركسية كنظرية ثورية للتغيير. لكنه حرص منذ البداية على عدم تحويل النظرية الماركسية إلى عقيدة جامدة. فالنظرية الماركسية كانت بالنسبة إليه المفتاح الأساسي لقراءة الواقع من أجل تغييره. وكان من أوائل اهتماماته التعمق والتوسع في قراءة الواقع الإقتصادي والإجتماعي في روسيا على أساس الماركسية. وبدأ يساجل في كتاباته كتاباً معروفين في الكتب التي كانوا يصدرونها وفي المقالات التي كانوا يعالجون فيها مختلف الأوضاع في روسيا من وجهة نظر ماركسية وفق فهمهم للماركسية. وكانت مجلة "روسكيا ميسل" الليبرالية واحدة من المجلات التي كان ينشر فيها مقالاته. وكان من أهم ما كتبه لينين في ذلك التاريخ البحث الذي يحمل عنوان "تطور الرأسمالية في روسيا" الذي نشر كاملاً ومعدلاً في عام 1923. وهو الكتاب الذي كان يريد بالإستناد إلى المعطيات



التي جمعها فيه حول تطور الرأسمالية في روسيا أن يوحي بأن ظروف روسيا كانت ناضجة للإنتقال إلى الإشتراكية. كان يريد بذلك ألا يتناقض مع أفكار ماركس وانجلز التي كانت قاطعة بأن الإنتقال إلى الإشتراكية لا يتم إلا في أعلى مرحلة من التطور الذي تحققه الرأسمالية.

لم تنحصر نشاطات لينين في سمارة. فقد أقام علاقات مع عدد من الحلقات الماركسية في مدن منطقة الفولغا. واستمر يرأسل فيدوسييف. وكانا يتبادلان الآراء حول القضايا المتصلة بتطور روسيا الإقتصادي والسياسي استناداً إلى النظرية الماركسية. في صيف عام 1893 انتقل لينين من سمارة إلى بطرسبورغ بعد أن كان قد هياً نفسه للمرحلة اللاحقة من نشاطه الثوري. ومن العاصمة بدأ يقيم علاقات مع الحلقات الماركسية في كل من موسكو ونوفوغراد. ولم يتأخر في الإنتقال إلى موسكو حيث استقرت العائلة. وكان همه الأساسي، وهو يقيم تلك العلاقات مع الحلقات الماركسية وبيبلور أفكاره وأفكار رفاقه حول الثورة، أن يؤسس منظمة ثورية حقيقية للقيام بمهام التحضير للثورة. وكانت الشروط مؤاتية بالنسبة إليه لتحقيق ذلك الهدف. إذ أن السنوات الأخيرة من القرن كانت تشهد نهوضاً عاصفاً في الحركة الثورية في روسيا. وكان يترافق ذلك النهوض مع تطور الرأسمالية في البلاد، كما كان يرى ويراقب لينين. وبدأ يستنتج أنه لا بد، إزاء ذلك النهوض في الحركة الثورية في ظل الأوضاع البائسة التي كان يعمل ويعيش فيها العمال، من العمل على رفع مستوى الوعي عند العمال على أسس الإشتراكية العلمية. وأسس لتلك المهمة حلقات تثقيف ماركسية. في عام 1894 تعرف إلى نادجا كروبسكايا. وكانت كروبسكايا قد نشأت وترعرعت في وسط من الثوريين. كان والدها واحداً من مثقفي ستينات القرن المعروفين. ولم تلبث أن انتمت في عام 1890 إلى إحدى الحلقات الماركسية. ثم تزوجت من لينين عندما كانا في المنفى في سيبيريا.

كان لينين في الأعوام الأخيرة من القرن يثبت مواقفه ومواقفه الفكرية باسم النظرية الماركسية، ويهيئ الشروط لولادة الحزب الثوري الحقيقي. لذلك قرر أن يخوض حرباً ضروساً ضد الشعبوية لتحرير الحركة الثورية من الآثار السلبية لتلك الحركة كونها معادية للماركسية كما وصفها. وألف في صيف عام 1894 كتابه الشهير "من هم أصدقاء الشعب". وفي الوقت الذي كان يركز فيه هجومه ضد الشعبويين، بدأ يدرك بوضوح وبحزم ضرورة الوحدة بين الفكر والعمل. وكان ذلك يتطلب منه العمل على تنظيم البروليتاريا في حزب عمالي على أسس ماركسية. فاستنفر كل طاقاته لتأسيس ذلك الحزب. وشكل كتابه "من هم أصدقاء الشعب" الأساس النظري والسياسي لتأسيس ذلك الحزب. وأكد في الكتاب أن ذلك الحزب المطلوب تأسيسه هو حزب البروليتاريا المتحالفة مع الفلاحين، وأن مهمته هي قلب النظام الرأسمالي، نظام الأوتوقراطية القيصرية، والتخلص من كل آثار العبودية القديمة. وكانت قد برزت في ذلك الوقت حركة "الماركسيين الشرعيين". وهي حركة ضمت مجموعات من المثقفين البرجوازيين الذين رأوا في الرأسمالية الروسية الصاعدة اتجاهاً إيجابياً. إذ هي كانت تعمل لتحرير روسيا من النظام الإقطاعي ومن العبودية. واستند "الماركسيون الشرعيون" في موقفهم ذلك إلى كتابات ماركس التي اعتبر فيها صعود البرجوازية في أوروبا مظهراً تقدماً في مسار حركة التاريخ. لكن لينين وجد في مواقف "الماركسيين الشرعيين" اتجاهاً خطيراً ينبغي الحذر منه ومواجهته. إذ هم في جوهر أهدافهم يخفون الصراع الطبقي، ويعيقون نضال البروليتاريا من أجل الانتقال بروسيا من الرأسمالية والأوتوقراطية إلى الإشتراكية، الهدف الذي تلتقي فيه الثورة البروليتارية مع الأهداف الأساسية لمشروع ماركس. لذلك بدأ لينين حملة واسعة فكرياً وسياسياً على تلك الحركة وعلى أهدافها. لكنه عاد فاستدرك بسرعة أن عليه أن يلتقي مع تلك الحركة ظرفياً في المعركة المشتركة ضد الشعبويين، من دون أن يتخلى عن موقفه المبدئي من تلك الحركة

التي سيخوض لاحقاً معركة شرسة لكشف أغراضها، وطبيعة موقفها الطبقي المبرر للبرجوازية سياساتها ضد البروليتاريا الصاعدة وضد ثورتها القادمة. دافع لينين عن الإتفاق الظرفي الذي أقامه مع "الماركسيين الشرعيين" ضد منتقديه من رفاقه في الحلقات الماركسية مؤكداً أن التحالفات الموقته بين مختلفين هي من طبيعة العمل السياسي، وأن الحزب الذي لا يمارس في نضاله تلك التحالفات هو حزب ضعيف فاقد الثقة بنفسه.

في شهر شباط من عام 1895 شارك لينين في مؤتمر دعت إليه مجموعات من الإشتراكيين الديمقراطيين من بطرسبورغ وموسكو وكيف وفيلتو. وعقد المؤتمر في بطرسبورغ. وكان الهدف من عقد ذلك المؤتمر الإنتقال من الدعاية الماركسية التي تولت القيام بها الحلقات الضيقة إلى العمل الجماهيري الواسع، ونشر الأعمال الفكرية والسياسية التي توضح للعمال الأهداف المبتغاة من النضال الثوري باسم الماركسية. وقرر المجتمعون إقامة علاقة مع مجموعة "تحرير العمل". واتفقوا على ضرورة إرسال مندوب عنهم إلى الخارج لإيصال أفكارهم وتعميمها. لكنهم اختلفوا على اسم ذلك المندوب. وبعد نقاش اتفقوا على إرسال اثنين: لينين ممثلاً للإشتراكيين الديمقراطيين في بطرسبورغ وسيونتي ممثلاً لإشتراكيي موسكو. تأخر سفر لينين بسبب المرض. وحين ذهب إلى موسكو بعد شفائه من المرض ليتابع طريقه إلى خارج البلاد كان البوليس قد عمم على الحدود وعلى عملائه في الخارج ضرورة مراقبة لينين في تحركاته. وحين وصل إلى جنيف كان أول لقاء له مع بليخانوف. وكانت هي المرة الأولى التي يلتقي بذلك المنظر الكبير للماركسية. وتبادل الأثنان التقدير كل منهما للآخر. لكنهما سرعان ما اختلفا حول طبيعة الثورة وحول طبيعة قيادتها في تلك المرحلة. ففي حين كان لينين يعطي للطبقة العاملة الأولوية في قيادة الثورة، كان بليخانوف يعتبر أن الثورة الوطنية الديمقراطية في تلك المرحلة كانت تقضي بأن تكون القيادة فيها للديمقراطيين الليبراليين.

انتقل لينين إلى باريس بعد فترة من إقامته في جنيف. والتقى هناك بـ "لافارغ" صهر  
ماركس وصديق انجلز، الذي كان قد ساهم في تأسيس الحزب العمالي الفرنسي. عاد لينين  
بعد ثلاثة أسابيع من الإقامة في باريس إلى جنيف ومنها إلى برلين واستقر فيها. وتابع  
قراءته في كتب وكتابات ماركس. ولخص كتاب ماركس "العائلة المقدسة". تابع في برلين  
لقاءاته مع الإشتراكيين الديمقراطيين. وكان سعيداً بلقائه مع القائد الإشتراكي الكبير ولهام  
ليكنخت صديق ماركس وانجلز. وحاول مقابلة انجلز. لكنه لم يفلح. إذ كان انجلز قد  
أصيب بمرض وغادر برلين إلى لندن. وتوفي في ذلك العام (1895).

في أواخر عام 1895 عاد لينين إلى روسيا مروراً بموسكو وبمدن أخرى قبل أن يصل  
إلى بطرسبورغ. عاد ومعه عدد من الوثائق الماركسية التي خبأها بعناية لكي لا تكشفها  
سلطات الحدود. وعمل على الفور على توزيعها على حلقات الإشتراكيين الديمقراطيين.  
وكان في تلك الفترة يغير اسمه ويغير أماكن إقامته لإخفاء حركته عن السلطات التي كانت  
تراقبه.

في خريف عام 1895 وقع في روسيا حدث تاريخي كبير. لقد تمكن لينين من جمع  
عدد من الحلقات الماركسية في تنظيم واحد أطلقوا عليه اسم "الإتحاد في النضال لتحرير  
الطبقة العاملة". وتشكلت قيادة للإتحاد كان لينين على رأسها. وكان من بين أعضاء  
الإتحاد كل من كروبسكايا ومارتوف. وكانت قاعدة الإتحاد مشكلة من مجموعات عمالية  
في المعامل ومقسمة إلى لجان أحياء. وقام التنظيم الجديد منذ البدايات على المركزية  
والإنضباط، وعلى علاقة وثيقة مع جماهير العمال. وكانت المناشير هي الوسيلة التي  
استخدمها أعضاء الحزب في علاقتهم مع جماهير العمال. وكان لينين هو الذي يكتب تلك  
المناشير. وكانت الإضرابات العمالية من بين أهم النشاطات التي قام بها الحزب. وكانت  
بداية نشاط الحزب في شهر تشرين الثاني من ذلك العام بالذات (1895).

تكمُن الأهمية التاريخية لذلك الإتحاد في أنه كان أول تنظيم في روسيا يوحد في نشاطه بين أفكار الإشتراكية العلمية والحركة العمالية الناهضة. ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحركة العمالية في روسيا تنمو وتتطور تحت راية الماركسية. وعلى غرار ما حصل في بطرسبورغ. بدأت الحلقات الماركسية في المدن والمناطق الأخرى توحد صفوفها. ومن أجل تعميق الوحدة بين تلك الحلقات في مختلف المدن على غرار الإتحاد الذي أسسه في بطرسبورغ قرر لينين إصدار مجلة باسم "القضية العمالية". وعلى صفحات تلك المجلة بدأ يكتب المقالات شارحاً أهمية الوحدة وضرورتها. واستعان بمنظمة "تحرير العمل" في الخارج لنشر المجلة. وعندما تلقى نبأ وفاة انجلز في ذلك العام كتب مقالاً عنه ذكر بالدور العظيم الذي قام به ذلك القائد والمفكر الكبير إلى جانب صديقه ورفيقه ماركس.

اعتقل لينين مع عدد من أعضاء الإتحاد في المكان الذي كانوا يهبطون فيه إصدار المجلة. كان ذلك في أوائل شهر كانون الأول من عام 1895. وفور انتشار نبأ اعتقالهم قامت حركة احتجاج واسعة في أوساط العمال الذين وزعوا منشوراً سياسياً كان في محتواه بالغ الدلالة في ذلك التاريخ. لم يتوقف لينين عن النضال من داخل سجنه. وظلّ يتابع كتاباته وتوجيهاته إلى رفاقه في الإتحاد. وكان من بين ما قام به وهو في السجن إعداد برنامج الحزب. وحرص في شرحه للبرنامج على التأكيد بأن المهمة التاريخية للحزب هي الإطاحة بنظام القياصرة كمرحلة أولى، تليها مهمة منع الرأسماليين من بسط سيطرتهم على السلطة بعد الإطاحة بالقيصر، وصولاً إلى إقامة سلطة البروليتاريا، التي تشكل الهدف الأساسي للحزب. وأشار في البرنامج إلى أن مهمة البروليتاريا بعد استيلائها على السلطة هي إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والبدء في بناء النظام الجديد، النظام الإشتراكي. وظلّ لينين يتابع وهو في السجن تكوينه الفكري من خلال العمل لاستيعاب أعمق لأفكار ماركس. وكان من بين اهتماماته الفكرية على قاعدة الماركسية تحديث وتعميق كتابه القديم الأنف الذكر "تطور الرأسمالية في روسيا".

في مطلع عام 1897 وسعت السلطات اعتقالها لأعضاء الإتحاد. فطالت عدداً من قاداته. وكانت كروبسكايا من بين الذين تم اعتقالهم. فأقام لينين علاقات معهم داخل السجن. وتابع في الآن ذاته اتصالاته السرية مع رفاقه خارج السجن. واستمر الإتحاد في العمل برغم اعتقال العديد من قاداته وأعضائه. وقامت بدور مباشر من الإتحاد حركات وإضرابات عمالية في كل من بطرسبورغ وموسكو مصحوبة بمناشير سياسية عديدة.

بقي لينين في السجن أربعة عشر شهراً. وفي شهر شباط من عام 1897 حكم عليه بالنفي إلى سيبيريا والإقامة الجبرية فيها لمدة ثلاثة أعوام. وبعد خروجه مع رفاقه من السجن وقبل الذهاب إلى المنفى، سمح لهم بالإقامة مع عائلاتهم في العاصمة لمدة ثلاثة أيام. استفاد لينين من الأيام الثلاثة لعقد اجتماعات مع أعضاء وقادة الإتحاد من أجل تنظيم العمل اللاحق في غيابه. لكنه فوجئ بخلافات حادة بين رفاقه حول اتجاهين. الإتجاه الأول كان يمثلته القدماء. وكان الشباب يشكلون الإتجاه الثاني. وإذ استمر القدماء على الموقف الأساسي الذي يعطي للبروليتاريا دورها في النضال، أصر الشباب على أن قيادة النضال في تلك المرحلة هي للديمقراطيين الليبراليين. وشكل اتجاه الشباب ذلك البداية في تأسيس ما صار يعرف فيما بعد بـ"الترينتونية" و"الإقتصادية" في الحركة الإشتراكية في روسيا. لكن لينين لم يتراجع أمام الشباب. وظلّ يدافع عن الإتجاه الذي كان قد تأسس عليه الإتحاد الذي يعتبر أن القيادة في النضال الثوري هي للبروليتاريا.

ذهب لينين إلى منفاه في الوقت المحدد. وفور وصوله إلى سيبيريا التقى عدداً من الإشتراكيين الديمقراطيين الروس والبولونيين. واكتشف أن القرية التي حددت إقامته فيها في منفاه كانت فيما مضى منفى الديسمبريين في ثلاثينات وخمسينات القرن. كانت الفترة الأولى من وجوده في تلك القرية شاقة عليه. أرهقه فيها وجوده وحيداً من دون أية علاقة بالخارج. لكنه سرعان ما تأقلم مع الوضع الجديد الصعب. ولأنه كان دائم التقاؤل

بالمستقبل فقد أبعد عن أفكاره ومشاعره كل ما له علاقة باليأس أو ما يشبهه. وتلك كانت السمات الأساسية التي رافقته على امتداد حياته في مراحلها النضالية المختلفة.

لم يترك لينين نفسه خلال وجوده في المنفى في حالة انتظار ساعة الحرية. بل هو واصل قراءاته لتعميق معارفه في الفلسفة الماركسية وفي الفلسفة بوجه عام. وأقام علاقات بالمراسلة مع والدته وشقيقته وبواسطتهما مع رفاقه في موسكو وفي بطرسبورغ. واشترك في عدد من الصحف والمجلات لمتابعة ما كان يجري في العالم وفي الحركة الاشتراكية على وجه الخصوص. وكان سعيداً بمتابعة مؤتمر شتوتغارت للأمم المتحدة الاشتراكية الذي عقد في عام 1897.

في المنفى ارتقت علاقات الحب بين لينين وكروبسكايا إلى المستوى الذي جعلهما يقتربان من الزواج. كانا في مكانين مختلفين. فبادرت نادجدا بطلب إلى السلطات بنقلها إلى المكان الذي كان يقيم فيه لينين باعتباره خطيبها. وتقدم لينين بالطلب ذاته. وقبل طلبهما. وصارا يقيمان في المكان ذاته. واشترطت السلطات على نادجدا خصوصاً بأن تتزوج على الفور من لينين وإلا أعيدت إلى المكان السابق لإقامتها. فتزوجا. وبعد زواجهما أخبرت نادجدا لينين بانعقاد المؤتمر الأول للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي الروسي في منسك في عام 1898. وسر لينين بالنبأ. ووافق على مضمون البيان الصادر عن المؤتمر. واعتبر أن انعقاد المؤتمر قد شكل حدثاً كبيراً في تاريخ الحركة العمالية الاشتراكية، إذ نقلها من زمن الطفولة والمراهقة إلى مرحلة النضج. لكن السلطات سارعت بعد وقت قصير من انعقاد المؤتمر إلى اعتقال اللجنة المركزية للحزب الجديد، وعطلت نشاط هيئاته ومنظماته. الأمر الذي أحدث ارتباكاً في الحزب.

كانت الحياة في المنفى شديدة الصعوبة. ولم يكن باستطاعة عدد من المثقفين احتمال صعوبات تلك الحياة. بعضهم أصابه المرض. وبعض آخر لقي حتفه. أما فيدوسييف فقد

انتحر. لكن لينين وناجدا قررا الصمود وعرفا كيف يقضيان أوقاتها. إلا أن انتحار فيدوسييف أثار ألم الرفاق وحزنهم. ولأنه كان ثورياً مرموقاً وموضع تقدير واحترام منهم جميعاً فقد جمعوا من بينهم مبلغاً من المال وأقاموا له تمثالاً.

### -III-

لم يتوقف لينين عن التفكير في مستقبل الحركة العمالية وفي الدور الذي سيضطلع به الحزب الجديد الناشئ، الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي. وكان منذ البداية يزداد اقتناعاً بالنهوض السريع للرأسمالية في روسيا، الذي كان يستتبع بالضرورة في نظر لينين دوراً قيادياً للطبقة العاملة في المستقبل. وكان ذلك يقضي بالعمل لإغناء الحزب بالأفكار الماركسية وبالمهام السياسية والعملية الموكلة إليه. فألف وهو في المنفى (1897) كراساً بعنوان "مهمات الإشتراكيين الديمقراطيين الروس". وكان يشير في كتاباته وفي مواقفه المعلنة إلى ضرورة التعاون مع العناصر الديمقراطية المعارضة وتقديم الدعم لها، بشرط أساسي ألا يقترن ذلك التعاون مع تلك القوى بأي تنازل من قبل أعضاء الحزب عن برنامج الحزب وعن التزامه بالنظرية الماركسية التي هي نظرية الحزب الثابتة. ومن جملة ما قام به وهو في المنفى متابعة العمل في كتابه القديم الآنف الذكر "تطور الرأسمالية في روسيا".

لكن لينين، الذي دافع بضراوة، استناداً إلى ما توصل إليه في أبحاثه التي قادتته إلى كتابه الآنف الذكر عن الدور القيادي للبروليتاريا وعن نقاوة الماركسية، بدأ يواجه وهو في المنفى نظريات الإصلاحيين، الذين وصفهم بالإنتهازيين. وكان في مقدمتهم الإشتراكيان الديمقراطيان برنشتاين الألماني وميليران الفرنسي. كان يشغله إلى جانب اهتماماته النظرية البحث عن الطريق الأفضل الذي على الحركة العمالية الروسية أن تشقه للمستقبل. كانت الحركة في ذلك التاريخ أمام خيارين. فإما أن تسلك الطريق الثوري للإطاحة بالقيصرية، أو أن تسلك طريق الإصلاحية الذي يجعل الحركة أسيرة الأيديولوجية البرجوازية. فاختار بحزم



وبثقة الطريق الثوري. عندما تلقى من شقيقته أنا من بطرسبورغ نسخة من برنامج "الإقتصاديين" تحت اسم كريدو (CREDO) قرر القيام بحملة مضادة. فكتب "احتجاج الإشتراكيين الديمقراطيين الروس" داعياً رفاقه في الحزب إلى شن حرب ضروس على أفكار الإقتصاديين.

كرس لينين في منفاه جهداً فكرياً وسياسياً وتنظيماً للحزب الماركسي الذي كان يرى فيه مستقبل الحركة الثورية الروسية. كتب كثيراً حول الموضوع. وكان من أهم ما كتب في تلك الفترة عدة مقالات: "برنامجنا" و"مهمتنا المباشرة" و"قضية ملحة". وهي مقالات أرسلها إلى مجلة "رابوتشي غازيتا" (الجريدة العمالية). وهي الجريدة التي جعلها المؤتمر الأول للحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي الناطقة الرسمية باسم الحزب. لكن الجريدة لم تعش طويلاً. إذ اعتقلت السلطات هيئة تحريرها. لذلك فإن مقالات لينين لم تنشر في حينها. ولم تر النور إلا في عام 1925. يقول لينين في مقال "برنامجنا": "لا يمكن أن يقوم حزب إشتراكي صلب إذا لم تكن ثمة نظرية ثورية توحد جميع الإشتراكيين، يستمدون منها جميع معتقداتهم ويطبقونها في أساليب نضالهم وطرائق نشاطهم. وإذا ما دافعنا عن هذه النظرية التي نعتبرها صحيحة في أعرق اعتقادنا دون التهجرات الباطلة ودون محاولات تشويهها، فإن هذا لا يعني البتة أننا أعداء كل انتقاد. فنحن لا نعتبر أبداً نظرية ماركس شيئاً كاملاً لا يجوز المساس به. بل إننا مقتنعون على العكس بأنها لم تفعل غير أن وضعت حجر الزاوية لذلك العلم الذي يترتب على الإشتراكيين أن يدفعوه إلى الأبعد في جميع الإتجاهات إذا شأؤوا ألا يتأخروا عن موكب الحياة. ونحن نعتقد أنه من الضروري بخاصة أن يدرس الإشتراكيون الروس ويطوروا نظرية ماركس بصورة مستقلة لأن هذه النظرية لا تعطي سوى موضوعات توجيهية عامة تطبق مثلاً في بريطانيا على غير ما تطبق في فرنسا، وفي فرنسا على غير ما تطبق في ألمانيا، وفي ألمانيا على غير ما تطبق في روسيا. ولهذا سوف

نخصص بكل طيبة خاطر مكاناً في جريدتنا للمقالات التي نتناول القضايا النظرية، وندعو جميع الرفاق إلى مناقشة نقاط الخلاف مناقشة علنية".

أسس لينين في كتاباته تلك في ذلك التاريخ لفكرة "الحزب من نوع جديد"، حزب البروليتاريا الثوري ذي المرجعية الماركسية. وكان بذلك يعمل على تغيير الوجهة التي كانت سائدة في الإشتراكية الديمقراطية، تغييرها في الإتجاه الثوري الذي يقطع مع الإصلاحية البرجوازية، ويؤسس للحزب الذي يقود البروليتاريا إلى سلطتها.

عاش لينين في الأيام الأخيرة من منفاه مع زوجته نادجدا حالة ألق وأرق. لم يعرف النوم خوفاً من أن تمدد السلطات إقامته في سيبيريا. لكن السلطات كذبت مخاوفه وأطلقت سراحه مع نادجدا في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني من عام 1900. إلا أنها منعتهم من الإقامة في العاصمة وفي أي من المدن الكبرى وفي أي مكان قريب من مراكز تجمعات العمال. فاختار منطقة قريبة من العاصمة للإقامة فيها. وبخروجه من المنفى دخل لينين في مرحلة جديدة بالغة الأهمية في حياته وفي حياة الحركة الثورية في روسيا.

كانت المعركة الأساسية التي واجهت لينين بعد خروجه من المنفى معركة فكرية وسياسية وتنظيمية. كان يعمل بكل طاقاته ومن دون كلل لكي يجعل الحزب العمالي الثوري الروسي حزباً للتغيير الجذري، حزباً يقتحم التاريخ من الأبواب الواسعة ويؤسس دولة العمال والفلاحين تحت راية الإشتراكية. وكان المؤتمر الثاني للحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي الذي عقد في عام 1903 هو ميدان تلك المعركة الكبرى فكرياً وسياسياً وتنظيمياً التي خاضها. وكانت كتبه وكتاباته التي أنجزها خلال وجوده في المنفى، ثم بعد خروجه منه هي السلاح الذي استخدمه في معركته الكبرى تلك التي كان المؤتمر الثاني ميدانها. وكان قد أصدر قبل المؤتمر كتابين من أهم كتبه التي أشرنا إليهما آنفاً هما "من هم أصدقاء الشعب" (1894) و"ما العمل" (1901). وكانت مقالاته الكثيرة التي كتبها في تلك الفترة

تعالج قضايا فكرية وسياسية وتنظيمية. وإذا كان في كتابه "من هم أصدقاء الشعب" قد صفى حسابه مع الشعبوية إلى حد بعيد فإنه في كتابه "ما العمل" قد وضع الأسس الضرورية التي تؤهل الحزب العمالي الثوري الإشتراكي لأن يكون حزباً قادراً على القيام بالمهام المطلوبة منه في اتجاه إقامة سلطة البروليتاريا. يقول في كتابه "ما العمل" في إطار التأكيد على أهمية العلاقة بين الفكر والعمل في الحزب: "لا حركة ثورية من دون نظرية ثورية. إننا لا نبالغ مهما شددنا على هذه الفكرة في مرحلة يسير فيها التبشير الشائع بالانتهازية جنباً إلى جنب مع الميل إلى أشكال النشاط العملي الضيقة جداً. وتزداد أهمية النظرية بالنسبة للإشتراكية الديمقراطية الروسية لثلاثة أسباب كثيراً ما ينسونها، هي: أولاً إن حزبنا ما يزال في دور التكوين. ما يزال في دور تشكيل سيماء وجهه. وما يزال بعيداً عن أن يصفى الحساب مع اتجاهات الفكر الثوري الأخرى التي تهدد بإخراج الحركة عن الطريق القويم. ففي الآونة الأخيرة على وجه التحديد، نشاهد بالعكس انتعاش الإتجاهات الثورية غير الإشتراكية الديمقراطية (كما تتبأ اكسلرود بذلك "للإقتصاديين" منذ أمد بعيد). وفي هذه الظروف يمكن لخطأ أن يبدو لأول وهلة غير ذي شأن، وأن يسفر عن أوحم العواقب. وينبغي على المرء أن يكون قصير النظر حتى يعتبر الجدل بين الفرق والتحديد الدقيق للفروق الصغيرة أمراً في غير أوانه أو لا داعي له. فعلى توطد هذا الفرق الصغير أو ذلك قد يتوقف مستقبل الإشتراكية الديمقراطية الروسية لسنوات طويلة، طويلة جداً. ثانياً إن الحركة الإشتراكية الديمقراطية هي حركة أممية في جوهرها. وذلك لا يعني فقط أنه يتعين علينا أن نناضل ضد الشوفينية في بلادنا. بل ذلك يعني أيضاً أن الحركة المبتدئة في بلاد فنية لا يمكن أن تكون ناجحة إلا إذا استوعبت تجربة البلدان الأخرى. ولبلوغ ذلك لا يكفي مجرد الإطلاع على هذه التجربة أو مجرد نسخ القرارات الأخيرة، إنما يتطلب هذا على المرء أن يمحس هذه التجربة وأن يتحقق منها بنفسه. وكل من يستطيع أن يتصور مبلغ اتساع وتشعب حركة العمال المعاصرة يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهذه المهمة من احتياطي من القوى النظرية والتجربة السياسية (والثورية أيضاً). ثالثاً، لم يسبق أن طرحت أمام أي حزب

إشترافي في العالم مهام كالمهام الوطنية المطروحة أمام الإشتراكية الديمقراطية الروسية. وسنتناول فيما يأتي من البحث الواجبات السياسية والتنظيمية التي تلقها على عاتقنا مهمة تحرير الشعب كله من نير الحكم المطلق. وبودنا فقط أن نشير هنا إلى أنه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة إلا حزب يسترشد بنظرية الطليعة".

ويحذر في مقال له بعنوان "بماذا نبدأ" نشر في عام 1901 في جريدة الإيسكرا، من العفوية، أي من انتظار الأحداث التي تحمل معها التغيير. يقول لينين في هذا الصدد: "من الممكن تماماً ومن المحتمل أكثر بكثير تاريخياً أن يسقط الحكم المطلق تحت ضغط أحد هذه الانفجارات العفوية أو التعقيدات السياسية غير المتوقعة التي تتهدده على الدوام من جميع الجهات. ولكن حزباً سياسياً واحداً لا يسعه، إن لم ينزلق إلى المغامرة، أن يبني نشاطه على أمل حدوث هذه الانفجارات والتعقيدات. يجب علينا أن نسير في طريقنا، وأن نقوم باستقامة بعملنا المنتظم. ويقدر ما يقل اعتمادنا على المفاجآت بقدر ما تزداد الإحتمالات بالأبواب التي الانعطافات التاريخية أياً كانت".

كان لينين قد بدأ يعيد إصدار جريدة الإيسكرا (الشرارة) القديمة في عام 1900 انطلاقاً من اقتناعه بالدور السياسي والتعبوي والتنظيمي الذي يعود للجريدة. وكانت تصدر في الخارج في شكل سري. وكان هو رئيس تحريرها. وصدر أول عدد منها في ليبزيغ في ألمانيا. ثم صار إصدارها ينتقل من مدينة إلى أخرى. وفي أعقاب المؤتمر الثاني للحزب، وإثر الخلاف حولها وحول دورها داخل هيئة التحرير انتقلت الإيسكرا من الإتجاه الذي يتمثل في خط لينين إلى الإتجاه المناقض له، وفقدت دورها التاريخي الذي كان يريد لينين إعطائه لها. لكن دور الجريدة من حيث المبدأ ظلّ بالنسبة إلى لينين بالغ الأهمية في عمل الحزب.

كان المؤتمر الثاني للحزب الذي عقد في عام 1903 حدثاً مفصلياً في حياة لينين وفي حياة الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي. كان المؤتمر ميدان صراع بين اتجاهين

كبيرين في الحزب، الإتجاه الذي اعتبره لينين ثورياً وهو ما تمثل بخطته الرامية إلى الإستيلاء على السلطة باسم دكتاتورية البروليتاريا، والإتجاه الذي اعتبره إصلاحياً، وهو ما عمل بكل طاقاته لإفشاله. وتمحور الخلاف بين الإتجاهين حول برنامج الحزب وحول سياساته في المرحلة المقبلة، وحول أشكال عمله، وحول الصيغة التنظيمية التي تحكم العلاقة داخل صفوفه. وكانت روسيا في ذلك التاريخ حافلة بالأحداث التي كان لينين يراها أحداثاً تسبق العاصفة.

انتصر اتجاه لينين في المؤتمر. لكنه كان انتصاراً مكلفاً. إذ انقسم الحزب في نهاية المؤتمر إلى بلاشفة (الأكثرية) وإلى مناشفة (الأقلية). غير أن لينين قلل من خطر ذلك الإنقسام. إذ اعتبر أن الطريق إلى الثورة وإلى السلطة بعد انتصار الثورة لا يحتمل الإستمرار في الجدل من دون حدود، ولا يحتمل إبقاء الحزب ونضاله في حالة بلبلة. فالوقت لا يرحم. ولكل لحظة في التاريخ أهميتها، ولها شروطها التي تحدد أهميتها بالنسبة إلى المستقبل.

خرج لينين من المؤتمر الثاني للحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي في عام 1903 زعيماً للحزب (جناح البلاشفة) وزعيماً ثورياً كبيراً في الحركة الثورية الروسية. وكانت كتاباته وكتبه ومواقفه والعلاقات التي أقامها مع القوى الإشتراكية في الداخل وفي الخارج قد هيأت له الشروط لمتابعة معاركه المتواصلة على طريق الثورة. كان يتابع بدقة وبكثير من التفاصيل الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في روسيا. وكان يرى أن الشروط كانت تتوفر بالتدريج لبدء المرحلة الحاسمة من الثورة. وكان يرى أن أعداد العمال كانت تكبر، وكان يكبر ويشتد الإستغلال والقهر والظلم. وكان يرى في الوقت عينه كيف كان يتزايد الإحتجاج عند العمال بأشكال مختلفة على ذلك الوضع والإستعداد عندهم للخروج إلى الشارع في مظاهرات حاشدة. ولم تلبث أن قامت ثورة 1905. ففي الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني من ذلك العام قاد كاهن أرثوذكسي مظاهرة سلمية لإيصال المطالب

الشعبية إلى القيصر شارك فيها ما يزيد عن مائتي ألف مواطن. فواجهت السلطات المظاهرة بالقمع وأوقعت مئات القتلى. كان ذلك الحدث شرارة الثورة التي استمرت بأشكال مختلفة حتى عام 1907. وتشكلت في سياق الثورة مجالس سوفياتات لنواب الشعب. وكانت تلك السوفياتات الشكل الذي ابتدعه الشعب في الثورة. كان لينين عند اندلاع الثورة خارج البلاد. فعاد على جناح السرعة وشارك في العمل مع حزبه ومع القوى الأخرى لجعل الثورة تشمل كل البلاد.

كانت ثورة 1905 في حقيقة الأمر في ذلك التاريخ التميرين الأول للثورة القادمة. غادر لينين البلاد في عام 1907 متوجهاً إلى أوروبا لمتابعة العمل بعيداً عن مراقبة السلطات له وملاحقته. ومن بعيد تابع قيادته للحزب. وتابع كتابة المقالات وإرسال التقارير والتوجيهات إلى الحزب في الداخل وإلى الرفاق في المهاجر. وكان في كتاباته وفي كتبه يتابع معركته القديمة والدائمة ضد خصومه القدامى والجدد داخل الحركة الثورية. وكان في مقدمة خصومه، إلى جانب المناشفة والإشتراكيين الثوريين، عدد من كبار قادة أحزاب الأمم المتحدة الثانية. وكان من أهم كتبه في ذلك التاريخ كتاب "خطا الإشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية" الذي ألفه بعد ثورة 1905. أما كتاباه الآخران اللذان ترافقا مع اندلاع الحرب العالمية الأولى فهما كتاب "إفلاس الأمم المتحدة الثانية" وكتاب "الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي". وكان في الآن ذاته يشن حرباً على من سماهم التحريفيين، الذين كانوا برأيه يحرفون أفكار ماركس. إذ كان يعتبر نفسه الوحيد المؤهل لقراءة أفكار ماركس، والوحيد الذي يستطيع أن يعدل في تلك الأفكار وفق الظروف. وكانت حربه تلك على جبهاتها كلها مع خصومه حرباً ضروساً، استخدم فيها كل ما كان قد اكتسبه من وسائل فكرية وسياسية منذ شبابه الباكر في معاركه الفكرية والسياسية، مع الشعبويين والإقتصاديين وحتى مع بعض رفاقه في الحلقات الماركسية الأولى. وكان عنيفاً في اللغة التي استخدمها ضد خصومه.

كانت الحرب العالمية التي شاركت فيها روسيا مصدراً إضافياً للخراب الذي كانت تعيشه البلاد، ومصدراً إضافياً للظلم الذي كان يعاني منه العمال والفلاحون. وكانت تلك الظروف تشكل عاملاً أساسياً لدفع الثورة إلى الإندلاع في صورة أقوى وأوسع وأكثر جذرية، بعد تجربة ثورة عام 1905. ولم تلبث أن اندلعت ثورة أكبر وأعم وأعمق في عام 1917 في عز الحرب وفي ظل الهزائم التي كانت تلحق بالجيوش الروسية على مختلف الجبهات. كانت البداية في الإضراب الذي أعلنه في الثامن عشر من شهر شباط عمال بعض المصانع الكبرى في بطرسبورغ، شارك فيه مئتا ألف عامل. فأصدرت لجنة حزب البلاشفة في المدينة بياناً في الخامس والعشرين من الشهر ذاته يدعو أعضاء الحزب للإضراب السريع في الإضراب وتزعم الانتفاضة: "على الجميع الإنضواء تحت راية الثورة الحمراء". وفي مساء السابع والعشرين من الشهر انضم إلى الحركة ما يزيد عن مئتي ألف من الجنود التابعين لحامية العاصمة إلى جانب العمال. وعمت الانتفاضة كافة أنحاء المدينة. "استولى العمال الثائرون والجنود المنضمون إليهم على محطات السكك الحديدية والبريد والتلغراف وقلعة بطرس وبولص والجسور الممتدة على نهر النيفا، وفتحوا أبواب السجون على مصراعيها، وأطلقوا سراح المعتقلين السياسيين. وقبض على وزراء القيصر في القصر الشتوي، ووضعوا تحت الحراسة. وأصدر المكتب الروسي للجنة الحزب المركزية يوم 27 شباط يوم انتصار الثورة، بياناً بعنوان "إلى كل مواطني روسيا" دعا كل العمال والجنود إلى البدء فوراً في انتخاب من يمثلهم في الحكومة الثورية التي عليها أن تحقق مطالب الشعب الخاصة بالحريات الديمقراطية، والأرض، ويوم عمل من ثماني ساعات، وكذلك الإتصال ببرولتاريا الدول المتحاربة للنضال المشترك لإنهاء الحرب الإمبريالية".

انتصرت الثورة وأجبر القيصر على التنحي. وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة كيرنسكي. ولم يكن البلاشفة في ذلك الحين في وضع يؤهلهم لأن يكونوا قادة تلك الحركة. كانت

القيادة موزعة بين قوى عديدة من بينها المناشفة والإشتراكيون والثوريون والبلاشفة وبعض الأحزاب البرجوازية. كانت تلك الثورة بطبيعتها وقواها في تلك الحقبة ثورة ديمقراطية بالغة الأهمية. عاد لينين على جناح السرعة وعاد معه عدد من رفاقه البلاشفة. وقد أثارت طريقة عودته في قطار ألماني الكثير من الأسئلة، وصل بعضها إلى اتهامه بالعمالة. لكنه لم يكثر لذلك. وبدأ يهيء للمرحلة المقبلة. كان يرى في حكومة كيرنسكي، إذا هي استمرت، عامل إجهاض لبرنامج في الإستيلاء على السلطة. وبدأ يمارس الحرب ضدها. وبدأ الإستعداد للإنتفاض عليها من أجل تمهيد الطريق إلى ثورته الإشتراكية باسم دكتاتورية البروليتاريا. وبدأت مواقف كيرنسكي تضطرب وتتخلخل. وبدأ يضعف، وبدأت تتحكم بحكومته وبقدراتها قوى معادية للثورة. وقامت في ذلك العام حركات معادية للثورة تم قمعها. عاد لينين من الخارج حاملاً معه عدته الفكرية والسياسية، وخطه مفصلة تقضي بتعزيز دور حزبه في الثورة، لا سيما في مجالس سوفياتات العمال والجنود التي كانت قد انتشرت في أنحاء البلاد، وكان وجود البلاشفة فيها ضعيفاً. ومن أهم ما صدر للينين في ذلك التاريخ بعد عودته من الخارج "موضوعات نيسان" التي حدد فيها مهمات الثورة في مرحلتها تلك وتطويرها في الإتجاه الذي يرتقي بها نحو الثورة البروليتارية التي تقود إلى استيلاء البلاشفة على السلطة.

في خضم تلك المعركة خرج تروتسكي من صفوف المناشفة والتحق بالبلاشفة، ووقف إلى جانب لينين بكل طاقاته وبكل ما كان يتمتع به من ثقافة ماركسية واسعة وما كان يتمتع به من قدرة على تحريك الجماهير. إذ كان خطيباً من الدرجة الأولى.

كان عام الثورة عاماً حافلاً بالنضالات وبالمعارك على كل الجبهات الفكرية والسياسة والتنظيمية بالنسبة إلى لينين وإلى حزب البلاشفة. وعندما أحس لينين أن أخطاراً حقيقية كانت تحيط بالثورة قرر مع قيادة حزبه البدء بالتحضير للإنتفاضة المسلحة. وكانوا قد أعدوا لذلك العدة داخل أقسام واسعة من الجيش باسم الحرس الأحمر. وكان حزب البلاشفة



يزداد عدداً. وكان يكبر وجوده داخل مؤسسات الثورة، لا سيما في سوفياتات العمال والجنود. ونجحوا في القضاء على حركات معادية للثورة نشبت في تلك الفترة الحرجة بالذات. وإذ لاحقت الحكومة لينين بسبب نشاطاته وبسبب مواقفه المعادية لها انتقل إلى السرية، وتابع من مكان وجوده العمل للإنتلاق بالثورة إلى نهايتها. وكانت الشروط كما قرأها لينين متوفرة. وأهم تلك الشروط تمثل في استمرار الحرب وفي تقاوم نتائجها على المواطنين بكافة فئاتهم، لا سيما عند العمال والفلاحين والجنود. دعا لينين إلى عقد اجتماع للجنة المركزية لحزب البلاشفة من أجل الإتفاق على القيام بالإنتفاضة المسلحة. كان الإجتماع صعباً وشاقاً عليه. فقد تخللته مواقف حادة وجهت إلى لينين من قبل ثلاثة من أعضاء اللجنة هم رادك وكامينيف وزينوفييف. وكان من بين الأعضاء الذين شاركوا في الإجتماع إلى جانب لينين والثلاثة الآنف ذكرهم كل من كالينين وسفردلوف وريكوف وارجونيكيدزه وستالين وتروتسكي وبوخارين وكروبسكايا وفوروشيلوف. انتهى الإجتماع بانتصار لينين. فقد نجح في نهاية المطاف بانتزاع القرار الذي كان يسعى إليه للقيام بالثورة بأكثرية أعضاء اللجنة المركزية. وحصلت المعجزة. وانتصرت الثورة في السابع من شهر تشرين الثاني من ذلك العام الحافل بالأحداث وبالصراعات وبالنضالات الصعبة.

شكل انتصار الثورة ضربة صاعقة للقوى البرجوازية في داخل روسيا، وللقوى الخارجية من حلفاء روسيا في الحرب. إذ كان أول قرار اتخذه لينين من موقعه في قيادة الثورة مرسوم السلام الذي أخرج روسيا من الحرب. ودخل على الفور في مفاوضات مع الجيوش الألمانية التي كانت تتقدم في داخل الأراضي الروسية، لعقد صلح ينهي الحرب مع ألمانيا. عارضه رفاقه في ذلك. وكان في المقدمة منهم تروتسكي الذي كان في موقع وزير الدفاع في السلطة السوفياتية. لكن لينين لم يتراجع. وظلّ يتابع جهوده من أجل السلام إلى أن تمكن من عقد الصلح مع الألمان الذي صار يعرف باسم "صلح برست ليتوفسك". وكان رد لينين على الذين عارضوا ذلك الصلح أن الهدف منه هو إنقاذ الثورة من الهلاك إذا ما

استمر زحف الجيوش الألمانية في عمق البلاد وتراجع الجيش الروسي أمامه. واعترف أمام رفاقه وأمام العالم بأن ذلك الصلح كان صلحاً مذللاً، وأنه سمح للألمان بالإستيلاء على أقسام واسعة من الأراضي الروسية. لكن ذلك الصلح كان، بالمقابل، عملاً ضرورياً لإنقاذ الثورة وسلطتها من الهلاك. وكان من بين ما اقترن بإعلان السلام من قبل لينين فضح الإتفاق الذي كانت الحكومة الروسية قد شاركت من خلال مندوبها مع مندوبي بريطانيا وفرنسا، سايكس وبيكو، لتوزيع المناطق العربية التي كانت تحت السيطرة العثمانية بين البلدان الثلاثة. وأصدر لينين على الفور بعد توقف الحرب مجموعة من المراسيم تتصل بأوضاع العمال والفلاحين وبالوضع الإقتصادي الذي كان مدمراً بسبب الحرب.

لم تتسامح القوى الرجعية من كل الجهات داخل روسيا مع لينين في إعلان ثورته العمالية وإقامة السلطة الاشتراكية. فأعلنت ثورة مضادة. وسرعان ما دخلت في الحرب ضد الثورة أربع عشرة دولة إلى جانب القوى الرجعية الداخلية. وكان على لينين وحزب البلاشفة أن يواجهوا حرباً أهلية صعبة ومكلفة استمرت عامين كاملين انتهت بانتصار الثورة وهزيمة الثورة المضادة وهزيمة القوى الخارجية التي وقفت إلى جانبها. لكن تلك الحرب الأهلية زادت من توسيع دائرة الخراب الذي كان سائداً في روسيا بفعل الحرب. فضلاً عن أنها أرهقت الشعب الروسي بفئاته المختلفة، وجعلت قسماً من العمال والفلاحين الذين كانوا مع الثورة يقفون ضدها في كرونشتاد. فأرسل لينين بوروشيلوف لقمعها.

كان من أوائل ما فكر فيه لينين بعد انتصار الثورة العمل على تأسيس الأممية الشيوعية (الأممية الثالثة) بديلاً من الأممية الثانية ونقيضاً لها. كان عليه أن يستعيد الجوهر الذي رمى انجلز ورفاقه من تأسيس تلك الأممية في عام 1889 بعد وفاة ماركس بخمسة أعوام. وكانت الأممية الثانية لدى تأسيسها تشكل ارتقاءً في الدور وفي الوظيفة عن الأممية الأولى التي أسسها ماركس وانجلز في عام 1864. تأسست الأممية الجديدة (الشيوعية) بقيادة لينين في عام 1919، بعد عامين من انتصار ثورة أكتوبر. إلا أن بدايات ذلك التأسيس

كانت سابقة على ذلك التاريخ. فقد عمد لينين قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها إلى إخراج البلاشفة من الأممية الثانية. إذ اعتبر أن ضرورة الانفصال عن الأممية الثانية تتبع من كون تلك الأممية قد خانت بنظره المبادئ التي كانت في أساس قيامها بقيادة انجلز ورفاقه من الماركسيين الأوائل. وبدأ الصراع منذ ذلك التاريخ بين الأممية الثانية القديمة والأممية الثالثة الناشئة التي كانت نواتها الأولى قبل تأسيسها تتمثل بحزب البلاشفة.

كانت للأممية الشيوعية في نظر لينين مهمتان أساسيتان. تؤكد المهمة الأولى على استمرارية الثورة العالمية من خلال التسريع في خلق أدواتها في شتى البلدان في صيغة أحزاب جديدة تحمل اسم الشيوعية وتتسبب عضواً إلى الأممية. وكان بعض تلك الأحزاب قد بدأ يخرج من صلب الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية. أما البعض الآخر فكان يتم إنشاؤه برعاية الأممية الشيوعية بعد تأسيسها. وكان يرى لينين أن شروط الثورة في أوروبا باسم الإشتراكية قد بدأت تتضح في ألمانيا على وجه التحديد. وكان يعتبر أن نجاح الثورة في ألمانيا سيشكل الدعامة الأساسية لتثبيت دعائم الثورة في روسيا في ظل سلطة العمال والفلاحين. لكن الثورة الألمانية التي قامت في العام الأخير من الحرب وأسقطت حكم القيصر لم تلبث أن ذهبت في الإتجاه النقيض بعد إعدام قائديها روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت. وكان من الواضح عند لينين منذ البداية وكأمر بديهي أن الثورة الروسية الظافرة ستكون سندا لتلك الأحزاب الجديدة ومدرسة لها ونموذجاً. وكان الهدف من تأسيس تلك الأحزاب تأمين الشروط الضرورية لانتصار الثورة في البلد المعين، وتوسيع قاعدة الحركة الثورية على الصعيد العالمي باسم الإشتراكية. وأنشئت مدرسة أممية في موسكو لتدريب وتأهيل قيادات وكوادر تلك الأحزاب للقيام بتلك المهمة التاريخية. واستمرت تلك المدرسة تمارس مهمتها في شروط مختلفة حتى آخر يوم من وجود الإتحاد السوفياتي. وكانت تستقبل قيادات وكوادر من جميع الأحزاب الشيوعية. وكنت واحداً ممن ارتادوا تلك المدرسة في أواخر عام 1966 من موقعي في قيادة الحزب الشيوعي اللبناني مع مجموعة من كوادر

الحزب. أما المهمة الأساسية الثانية للأممية الشيوعية فتتمثل بالعمل لدعم الثورة الروسية المنتصرة وفي الدفاع عنها داخل تلك البلدان التي كانت تنشأ وتتشكل فيها أحزاب شيوعية كشكل ملموس ومحدد لتأمين شروط استمرار الثورة على الصعيد العالمي. وتشير إلى هاتين المهمتين الأساسيتين وإلى سائر المهمات الثورية المرتبطة بتأسيس الأممية الشيوعية التعقيدات التي رافقت تأسيس الأحزاب الشيوعية، والنقاشات والسجلات البالغة الدلالة التي شهدتها المؤتمرات الثلاثة الأولى للأممية بقيادة لينين وبمشاركة أساسية منه في تلك النقاشات والسجلات. وكانت الشروط التي وضعت للإنتساب إلى الأممية الشيوعية واحداً وعشرين شرطاً. وتذكر بعض التوجيهات التي صدرت عن اللجنة التنفيذية للكونغرس (الإسم الذي اتخذته الأممية في المراحل الأولى من عهد ستالين حتى عام 1943) بالطابع الحديدي للإنتظام في الأممية الذي اتخذ بعد وفاة لينين طابعاً تعسفياً في علاقة المركز الأممي بالأحزاب المنتمية إلى الأممية. وفيما يلي فقرات من بعض تلك التوجيهات كما نقلها ماهر الشريف في كتابه "فلسطين في الأرشيف السري للكونغرس": "...ضرورة أن يتبنى كل حزب يود الإنتساب إلى الكونغرس اسم: 'الحزب الشيوعي في ... فرع الكونغرس'. والكونغرس هو الذي يصادق على برامج فروع المختلفة، ويحل القضايا الأساسية المتعلقة ببرنامج الكونغرس وتكتيكاته، ويقرر عدد الأصوات التي تعود إلى كل فرع ومعايير التمثيل في المؤتمر العالمي، وذلك بالإستناد إلى حجم العضوية وإلى أهمية البلد. وهو الذي ينتخب اللجنة التنفيذية التي تشرف على نشاط الكونغرس وفروعه في الفترة الواقعة ما بين مؤتمرين، ويحدد مقرها. كما قرر المؤتمر إصدار مجلة مركزية بأربع لغات على الأقل، وبإصدار بيانات، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وأن يكون من صلاحياتها إعطاء توجيهات إلى قيادات فروعها، وتشكيل مكاتب مساعدة في البلدان المختلفة. كما أوصى المؤتمر نفسه بأن تقوم الدوريات الشيوعية التي تصدرها الفروع بنشر كل بيانات اللجنة التنفيذية ومقرراتها، وأن تتضمن اتحادات الشبيبة الشيوعية، التابعة لها، إلى كونغرس الشباب، وأن تشكل الإتحادات النقابية، الخاضعة لنفوذها، فروعاً نقابية تابعة للكونغرس. كما جرى

في المؤتمر الرابع المنعقد في عام 1922 التأكيد على ضرورة تحويل الكومنترن إلى حزب شيوعي عالمي وعلى أهمية التزام كل فرد له بانضباط صارم في تنفيذ مقررات مؤتمراته العالمية ولجنته التنفيذية. وكان المؤتمر العالمي الثاني قد أقر الشروط الواحدة والعشرين للإنتساب إلى الكومنترن، ومنها أن يخضع برنامج كل فرع إلى مصادقة المؤتمر العالمي أو اللجنة التنفيذية، وأن يكون النشاط التحريضي لكل فرع ودعايته متوافقين مع برنامج الكومنترن ومقررات لجنته التنفيذية، وأن يقوم البناء التنظيمي لكل فرع على قاعدة المركزية الديمقراطية، وأن يلتزم كل فرع بتنفيذ مقررات المؤتمر العالمي واللجنة التنفيذية للكومنترن. أما المؤتمر السادس الذي عقد في عام 1928 فقد كرس سيطرة الحزب الشيوعي في الإتحاد السوفياتي، بزعامة ستالين، على مركز القرار في اللجنة التنفيذية للكومنترن، وضيق، إلى أقصى الحدود، هامش المبادرة الذي كانت تتمتع به الفروع المحلية في البلدان المختلفة".

استناداً إلى ما تم تعميمه حول طبيعة العلاقة بين المركز والأحزاب في بلدانها استمر تنظيم الإنشقاقات عن الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية، واستمرت عملية تشكيل أحزاب جديدة بوسائل كانت تتخذ في معظم الأحيان شكل تدخل فظ وتعسفي. الأمر الذي أدى في مراحل لاحقة، في عهد ستالين وفي العهود التي جاءت بعده، إلى إضفاء طابع مغاير لما رمى إليه لينين من تشكيل الأممية الشيوعية. إذ تحوّلت تلك الأممية مع الوقت إلى أداة بيد السلطة السوفياتية لتعميم نموذجها الإشتراكي من جهة، وللدفاع عن سياسات الدولة السوفياتية بثتى الوسائل من جهة ثانية، حتى ولو كانت تلك السياسات تتعارض في شكل نسبي أو مطلق مع مصالح الثورة وتطورها ومع ظروف عمل الأحزاب الشيوعية الناشئة حديثاً أو القائمة قديماً في أي من البلدان.

إلا أن هذا النقد لما آلت إليه الأممية الشيوعية بعد تأسيسها على يد لينين لا يقلل من المعنى الذي ارتبط بتأسيسها، ولا يقلل من الأدوار الكبيرة التي قامت بها ومن النضالات

البطولية التي ارتبطت باسمها في المراحل الأولى لقيامها وحتى في مراحل لاحقة. وستظل الأممية كفكرة بالمعنى الرومانسي للكلمة وبالمعنى الإنساني الذي ترمز إليه تستهوي الطامحين إلى تغيير العالم وإلى تغيير شروط حياتهم فيه باسم مشروع ماركس وباسم القيم والمثل الإنسانية الكبرى التي دعا لها وبشر بها ماركس في كل كتاباته على امتداد حياته، والتي عمل لينين استناداً إليها على امتداد حياته القصيرة في قيادة الثورة وفي الظفر بها وفي تأسيس أول دولة إشتراكية في التاريخ. لكن ثلاثة أسئلة على الأقل ستظل تطرح، حتى بعد انهيار التجربة الإشتراكية، هي بالتحديد: هل كان موقف لينين العدائي من أحزاب الأممية الثانية، حتى وهي تقف في شكل خاطئ إلى جانب حكومات بلدانها في الحرب، ضرورياً بالمعنى التاريخي؟ ألم يكن من الأفضل الحفاظ على وحدة الحركة الإشتراكية حتى في ظل الإختلاف بين أحزابها في المواقف الاستراتيجية وفي المواقف التكتيكية؟ هل كان ضرورياً وحتمياً الإستعجال في إحداث انقسام حاد وعدائي في الحركة، والإسراع في تأسيس أممية ثالثة تلتها رابعة وخامسة فيما بعد؟ ولهذه الأسئلة علاقة بالحاضر والمستقبل، وليس بالماضي الذي مضى. نقودني إلى هذه الأسئلة تجربة ماركس في عصابة الشيوعيين وفي الأممية الأولى اللتين حرص ماركس أن يحافظ على وحدتهما برغم التباين الكبير الذي كان قائماً بين مكوناتهما.

-V-

تأخر تأسيس الدولة السوفياتية كاتحاد جمهوريات ومناطق حكم ذاتي متعددة قومياتها. فقد تأسس الإتحاد السوفياتي كأول دولة إشتراكية في التاريخ بعد خمس سنوات من انتصار ثورة أكتوبر. وشكل ذلك الإتحاد بطبيعته وبأهدافه صيغة مناقضة لما كان عليه وضع تلك القوميات التي يفوق عددها المائة قومية في ظل حكم القياصرة. إذ كانت

الدولة الروسية في عهد القيصرية تتشكل من وحدة قسرية لتلك القوميات، وحدة خضعت فيها شعوب تلك القوميات ومعها الشعب الروسي ذاته لأبشع أشكال الإستبداد. وكانت فكرة لينين الأساسية في المسألة القومية تقوم على مبدئين : المبدأ الأول يقضي بتشكيل اتحاد طوعي من القوميات التي تحررت من القيصرية بعد انتصار ثورة أكتوبر يجمعها ويوحدها النضال من أجل التقدم باسم الإشتراكية وتحت رايتها. كما يقضي ذلك المبدأ بتعميم الأخوة وترسيخها بين القوميات والشعوب التي تشكل منها الإتحاد، بديلاً من العداة الذي ساد طويلاً بين تلك القوميات والشعوب في ظل حكم القيصرية والذي عمقته الحروب التي خاضها القيصرية عبر التاريخ. المبدأ الثاني يقضي باحترام حق تلك القوميات في تقرير مصائرها بحرية، بما في ذلك حقها في الانفصال عندما تجد أن مصلحتها تتطلب ذلك، ويوضع هذا الحق موضع التطبيق لا إبقاؤه مبدأً نظرياً وحسب. والجوهر الأساسي في هذين المبدئين إنما يتجسد في الحل الإشتراكي الذي كان وحده بنظر لينين الحل العادل للمسألة القومية. وهو ما كان قد جرى تأكيده في كتابات ماركس حول هذه المسألة في معالجته لقضيته بولونيا وايرلندا. وهو ما عبرت عنه قرارات مؤتمرات الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي بقيادة لينين السابقة على انتصار الثورة. وهو ما عبرت عنه كذلك القرارات التي اتخذتها مؤتمرات الأممية الثالثة، وبالأخص منها المؤتمر الثاني بقيادة لينين. كما عبرت عن هذا المبدأ أخيراً قبل وفاة لينين نقاشاته مع ممثلي شعوب الشرق من شيوعيين تلك البلدان ومن غير الشيوعيين الذي عقد في مدينة باكو عاصمة أذربيجان في عام 1921. وكثيراً ما كان يدخل لينين في نقاشات حادة حول المسألة القومية قبيل تأسيس الإتحاد السوفياتي وبعده مع ستالين بالذات ومع أوجونيكيدزه، وهما جورجيان، ومع سواههما، لا سيما حول المسألة المتعلقة بقوميات منطقة القفقاز ومن بينها جورجيا ذات القوميات المتعددة، وكذلك المسألة المتعلقة بمنطقة كراباخ الأرمنية في أذربيجان. وإذا كان لينين قد أثبت أمانته لمبديه في إعطاء فنلندا حقها في تقرير مصيرها وخروجها طوعاً وبارادتها الحرة من الإتحاد، فإن ستالين لم يحترم أيّاً من تحذيرات لينين، لا سيما ما يتعلق بمشاكل القفقاز

وضرورة التعامل معها بدقة وبنفس طويل وبالاحترام الكامل لخصوصياتها. فقد أقر ستالين وطبق بالقوة وبالإكراه حلولاً تعسفية لكل من مسألة جورجيا ومسألة أذربيجان ومسألة النتر ومسألة اليهود ومسائل أخرى متشابهة تتعلق بقوميات أخرى. وقد جاءت مواقف ستالين تلك مناقضة بالكامل لما كان يؤكد عليه لينين منذ البدء في عدد من مقالاته وفي عدد من الرسائل التي بعث بها إلى اللجنة المركزية للحزب في الأعوام الأخيرة من حياته. وأنقل هنا مقاطع من بعض كتابات لينين التي كان يحذر فيها من سوء معاملة شعوب القوميات التي دخلت في الإتحاد السوفياتي. يقول لينين بهذا الصدد، في مقال له في 31 كانون الأول من عام 1922: "... ينبغي وضع قواعد دقيقة منتهى الدقة فيما يتعلق باستخدام اللغة القومية في الجمهوريات القومية غير الروسية المنضمة لاتحادنا، ومراقبة تطبيق هذه القواعد بدقة كبيرة. فليس من شك في أن حالات سوء الإستعمال ذات الطابع الروسي الصرف ستظهر بكثرة كبيرة في ظل جهازنا الراهن بذريعة وحدة السكك الحديدية ووحدة الضرائب، الخ.. ولمكافحة سوء الإستعمال هذا يتطلب الأمر حذاقة خاصة، فضلاً عن أنه يتطلب الإخلاص التام من جانب الذين يأخذون على عاتقهم هذا النضال. ويتطلب الأمر قوانين مفصلة لا يمكن أن يضعها ولو بشيء من النجاح غير أبناء القومية التي تقطن الجمهورية المعنية... وإذا ما قوضنا نفوذنا في الشرق، عشية بروز الشرق إلى المسرح وفي بداية يقظته، باقترافنا ولو أقل فظاظاً، ولو أقل ظلم حيال الشعوب غير الروسية في بلادنا، وقعنا في انتهازية لا تغتفر...".

استرسلت في الحديث عن تأسيس الإتحاد السوفياتي وعن الإختلاف الجوهرى بين موقف لينين وموقف ستالين لكي أشير من جهة إلى الصعوبات التي واجهت لينين في تأسيس دولة متعددة القوميات، وإلى الموقف الخاطئ والفظ من جهة ثانية الذي تعامل به ستالين مع المسألة القومية البالغة التعقيد. إلا أن أهم ما استخلصه لينين من الحرب الأهلية ومن التدخل الخارجى الذي أعقب انتصار الثورة تمثل في "السياسة الإقتصادية



الجديدة" (النيب). وهي السياسة التي استبدل بها في شروط السلم "الشيوعية الحربية" التي نادى بها خلال الحرب الأهلية. وحدد لينين في "النيب" البرنامج الذي كان على السلطة السوفياتية من وجهة نظره أن تضعه أمامها لبناء القاعدة المادية للانتقال إلى الاشتراكية ولتأمين الشروط لذلك الانتقال. وجوهر مشروع "النيب" هو أنه، بحسب لينين، سيكون من المستحيل على روسيا في ظل سلطة العمال والفلاحين أن تتقدم في تحقيق برنامجها الاشتراكي إذا هي اعتمدت فقط، في سياستها للخروج بروسيا المدمرة من حالة الخراب والفقر والتخلف إلى العمل لتحقيق أهداف الثورة، على قدرات تلك السلطة المنهكة والمحاصرة من كل الجهات. فالسياسة الإقتصادية الجديدة كانت تقضي بفسح المجال أمام أنماط متعددة من الإنتاج إلى جانب النمط الاشتراكي أو شبيهه. وكان من بين تلك الأنماط نمط الإنتاج الرأسمالي في الصناعة وفي الزراعة وفي التجارة. وشكلت التعاونيات الإنتاجية في الصناعة وفي الزراعة نمطاً إنتاجياً آخر. ودعا لينين الشيوعيين الروس، استناداً إلى برنامجه الجديد، إلى تحمل تبعات تلك السياسة بما في ذلك احتمال الفشل في استمرار البلاشفة في موقع السلطة واستقبال ذلك، إذا ما حصل، بدم بارد. فقد كان حاسماً بأن تقدم روسيا على طريق الاشتراكية مشروط بتوفير القاعدة المادية لتلك العملية، استناداً إلى قراءته الواقعية لأوضاع روسيا في تلك الفترة، ولنوع الرأسمالية السائدة فيها، وهي رأسمالية البرجوازية الصغيرة كما وصفها. وقد وضع لينين الشيوعيين الروس أمام التحدي التاريخي في إنجاز تلك المهمة في تلك الشروط الصعبة المأوى بالمخاطر. وأعلن في هذا الصدد بشجاعة استثنائية أن ما كان قائماً في روسيا في ذلك التاريخ إنما هو "رأسمالية دولة" في ظل سلطة العمال والفلاحين. وهي رأسمالية دولة من نوع خاص مختلف جوهرياً عن رأسمالية الدولة في دول أوروبا الرأسمالية. وهي كانت تجربة فريدة من نوعها في التاريخ. ونصح لينين رفاقه بعدم العودة إلى ماركس لمعرفة ما إذا كان قد أشار في كتاباته إلى رأسمالية الدولة في ظل سلطة العمال والفلاحين. فهي موضوعة جديدة من اجتهاداته. وكان لينين بأفكاره الجديدة المشار إليها يستعيد بعضاً من موضوعة ماركس حول الشروط

المادية للانتقال إلى الاشتراكية. وهي الموضوعة التي كانت ولا تزال موضع جدل كبير في صفوف الماركسيين وعلماء الاجتماع البرجوازيين والعديد من قادة الحركات الثورية القدامى والجدد. ولماركس وانجلز كتابات عديدة تتناول موضوع الثورة الاجتماعية التي تقود إلى تغيير علاقات الإنتاج الرأسمالية بالتدرج في اتجاه الاشتراكية عندما تتضج الشروط التي تسمح بذلك التغيير النوعي. وهذه الشروط هي بحسب ماركس وانجلز تختلف من بلد لآخر ومن زمن لآخر. يقول انجلز في هذا الصدد في رسالة إلى اوتوبونيفك، في 21 آب من عام 1880: "إن ما يسمى "المجتمع الاشتراكي" ليس، حسبما أعتقد، شيئاً ما أعطي مرة واحدة وإلى الأبد. بل ينبغي اعتباره، مثله مثل كل نظام اجتماعي آخر، قابلاً لتغيرات وتحولات دائمة".

ويقول لينين في تقريره أمام المؤتمر الحادي عشر للحزب (1922): "لقد شرعنا ببناء الإقتصاد الجديد، مستخدمين أساليب جديدة تماماً، غير آخذين أي شيء من الماضي. ولو لم نبدأ ببناء الإقتصاد الجديد لكننا منينا بالهزيمة منذ الأشهر الأولى منذ السنين الأولى، لكننا منينا بالهزيمة التامة. لكن ذلك لا يعني أننا، إذا كنا قد باشرنا تنفيذ هذه المهمة بمثل هذه الجرأة المطلقة، سنصر على مواصلة العمل بالنحو نفسه، فما الذي يثبت ذلك؟ لا شيء يثبت ذلك. لقد قلنا منذ البدء أنه يترتب علينا القيام بعمل جديد تماماً، لا سابق له، وإن مهمتنا ستكون صعبة إلى حد لا يصدق وأننا سنرتكب بلا ريب جملة من الأخطاء إذا لم يهب الرفاق العمال في البلدان التي هي أكثر تقدماً من الناحية الرأسمالية إلى مساعدتنا بسرعة. إن الأمر الجوهري هو أن نعرف كيف نرى بصفاء ذهن أين اقترفت هذه الأخطاء وأن نعيد بناء كل شيء من جديد. وإذا حدث لنا، لا مرتين بل مراراً عديدة، أن نعيد بناء كل شيء من جديد، فسيكون ذلك الدليل على أننا ننظر بكل صفاء ذهن وبدون أوهام إلى مهمتنا التي هي أعظم مهمة قام بها الناس يوماً في العالم".

ويضيف في التقرير ذاته: "إن رأسمالية الدولة، حسبما يستفاد من كل الأدب الإقتصادي، إنما هي تلك الرأسمالية التي تقوم في ظل النظام الرأسمالي عندما تخضع سلطة الدولة لنفسها مباشرة هذه الرأسمالية أو تلك. أما عندنا فالدولة بروليتارية. وعلى البروليتاريا تعتمد، وللبروليتاريا تمنح جميع الأفضليات السياسية، وبواسطة البروليتاريا تجتذب إليها الفلاحين من القاعدة. (وأنتم تدركون أننا بدأنا هذا العمل من رجال الفلاحين الفقراء). ولهذا بالذات تحير رأسمالية الدولة وترك عددا كبيرا جداً من الناس. ولكي لا يحدث هذا ينبغي أن نتذكر الأمر الأساسي وهو أن رأسمالية الدولة بالصورة الموجودة بها عندنا لا توضحها أي نظرية ولا يفسرها أي أدب، وذلك لسبب بسيط، هو أن جميع المفاهيم العادية المرتبطة بهاتين الكلمتين تتعلق بالسلطة البرجوازية في المجتمع الرأسمالي... إن رأسمالية الدولة إنما هي تلك الرأسمالية التي يترتب علينا أن نضعها ضمن نطاق معين والتي لا نعرف حتى الآن كيف نضمها ضمن هذا النطاق. هنا المشكلة كلها. وعلينا نحن يتوقف الآن الشكل الذي سنتخذه رأسمالية الدولة هذه. فإن السلطة السياسية عندنا كافية تماماً، والوسائل الإقتصادية الموجودة في حوزتنا كافية أيضاً. لكن ما لا يكفي هو معرفة طليعة الطبقة العاملة. تلك الطليعة التي قدمت لكي تشرف على الشؤون مباشرة ولكي تحدد الحدود، ولكي تحدد موقعها، ولكي تخضع لنفسها لا أن تكون خاضعة. وهنا تتبغى المعرفة فقط، ولكن المعرفة تتقصنا. وضع لا سابق له أبداً في التاريخ: تملك البروليتاريا، تملك الطليعة الثورية ما يكفي تماماً من السلطة السياسية، وإلى جانب هذا توجد رأسمالية الدولة. وعقدة المسألة أن نفهم أن هذه هي تلك الرأسمالية التي نستطيع ويجب علينا أن نسمح بها، والتي نستطيع ويجب علينا أن نضعها ضمن نطاق معين. لأن هذه الرأسمالية ضرورية لأجل جماهير الفلاحين الواسعة ولأجل الرأسمال الخاص الذي يجب أن يتاجر بشكل يلبي به حاجات الفلاحين. ومن الضروري ترتيب الأمور بحيث يمكن للإقتصاد الرأسمالي والتداول الرأسمالي مواصلة سيرهما العادي، لأن هذا ضروري للشعب،

ولأنه يستحيل العيش دون هذا. والباقي كله ليس ضرورياً ضرورة مطلقة لهم، لهذا المعسكر وفي وسعهم أن يسلموا بالباقي كله".

ويقول لينين في التقرير الذي قدمه المؤتمر الثاني لهيئات التثقيف السياسي (1921): "تتصدر المسألة في معرفة من سيسبق الآخر. هل ينجح الرأسماليون في السبق إلى تنظيم أنفسهم، فيطردون الشيوعيين؟ وفي هذه الحالة لا يبقى ما يقال! هذه أمور يجب أن تعالج بدم بارد، أي بدون انفعال. من سينتصر؟ هذا يعني: هل ستثبت الدولة البروليتارية قدرتها على لجم السادة الرأسماليين، استناداً إلى الفلاحين، بحيث تدفع الرأسمالية في اتجاه القناة التي تشقها الدولة، وإيجاد رأسمالية تابعة للدولة، وموضوعة في خدمتها؟ إنه سؤال يجب طرحه بدم بارد. فكل أيديولوجية، في هذا الصدد، وكل الأحاديث عن الحريات السياسية، هي كلام يمكن أن نقع عليه بكثرة، خصوصاً إذا ما نظرنا إلى روسيا المهاجرة، روسيا رقم 2، حيث تصدر عشرات من الصحف اليومية لجميع الأحزاب السياسية، وحيث يجري التغني بشتى صنوف الحريات، على كل الأوزان وكل الألحان الممكنة في الطبيعة. كل هذا مجرد ثرثرة، وعبارات فارغة. إنها عبارات يجب أن نعرف كيف نتحاشاها".

واضح من هذه النصوص أن لينين كان يحاول توضيح وتحديد برنامج الجديد، وسط قلق مشروع عنده على المستقبل، مترافقاً بثقة مشروطة، استناداً إلى وعي الشيوعيين في تحدي الصعوبات وتحقيق النجاح.

ومعروف أن لينين قد دعا الرأسمال الروسي والرأسمال العالمي للإستثمار في روسيا استناداً إلى برنامجه المتمثل بالسياسة الإقتصادية الجديدة. وكان الرأسمالي الأميركي الكبير هامر أحد أصدقاء لينين. وكانت له إستثمارات كبيرة في روسيا. والجدير بالذكر أن لينين قد عقد اتفاقات مع خبراء كبار في الدول الرأسمالية للمساهمة في إعادة بناء الجيش

والإقتصاد والمخابرات وذلك بأجور عالية. ولم يلتفت إلى الإنتقادات التي وجهت إليه في هذا الشأن. وكان رده الوحيد على بعض منتقديه أن بناء مؤسسات الدولة هو مهمة ذات أولوية أساسية من دونها تستحيل إمكانية تثبيت دعائم السلطة السوفياتية وتستحيل عملية التحوّل نحو الإشتراكية. وكانت قراراته تلك في تلك المرحلة بالذات من موقعه على رأس السلطة السوفياتية استمراراً لنوع من البراغماتية في النضال ظلّ يتبعها منذ بدايات عمله الثوري، من دون أن يتخلى عن ثورته. فكان يغير مواقفه بسرعة عندما كان يرى أنها تتعارض مع الوقائع. وهو ما أشار إليه بوضوح في مقال له بعنوان "حول الشعارات" نشره في شهر تموز من عام 1917. يقول لينين في هذا المقال: "... عندما يقوم التاريخ بانعطاف سريع كثيراً جداً ما يحدث ألا تستطيع حتى الأحزاب المتقدمة، خلال زمن طويل إلى هذا الحد أو ذاك، أن تألف الوضع الجديد، وتتخلى عن الشعارات التي كانت صحيحة بالأمس، ثم فقدت، في الظروف الجديدة، كل معنى، فقدت معناها فجأة، بالقدر الذي جاء فيه في شكل سريع ومفاجئ ذلك الإنعطاف التاريخي الجديد...".

لقد وضع لينين السياسة الإقتصادية الجديدة وعمل على تحقيقها بنفس طويل. وكان كعادته يمشي في الطريق لتحقيق برامج ومشاريعه واثقاً من نفسه ومن صحة موقفه. وفي غمرة النضال الذي كان يقوده للدفاع عن برنامجه في أعقاب المؤتمرين العاشر والحادي عشر للحزب تعرض لمحاولة اغتيال. فتعطلت حركته وتعطل دوره جزئياً في البدء في قيادة الحزب والدولة. ولم يمض وقت قصير حتى أقعده المرض. فحوّله ستالين إلى ما يشبه السجين في منزله في مدينة غوركي القريبة من موسكو. ومنع عنه الإتصال. ومنعت عنه المعلومات. وتعرضت زوجته كروبسكايا للإضطهاد. ولم تعد توصياته وآراؤه ذات وزن. وأصبح ستالين، من موقعه كأمين عام للحزب، صاحب السلطة من دون منازع. وكتب لينين قبل الرحيل وصيته التي يتحدث فيها عن سيخلفه في قيادة الحزب والدولة. يقول لينين في وصيته: "إن ستالين مفرط في الفظاظة. وهذه النقيصة التي يمكننا احتمالها

تماماً ضمن بيتنا نحن الشيوعيين، وفي علاقاتنا بعضنا ببعض، تصبح أمراً غير محتمل في منصب الأمين العام. ولهذا أقترح على الرفاق أن يفكروا في أسلوب لنقل ستالين من هذا المنصب وتعيين شخص آخر لهذا المنصب يمتاز من جميع النواحي الأخرى عن الرفيق ستالين بمزية واحدة فقط، هي أن يكون أكثر تسامحاً، وأكثر ولاءً، وأوفر لطفاً، وأشد انتباهاً للرفاق، وأقل تقلباً في الأهواء، الخ.. هذا الإعتبار قد يبدو أمراً تافهاً لا يؤبه له. لكنني أعتقد أن هذا ليس بالأمر التافه من وجهة نظر درء الإنشقاق ومن وجهة نظر ما كتبتة سابقاً عن العلاقات بين ستالين وتروتسكي، أو أن هذا أمر تافه ولكنه قد يكتسب أهمية فاصلة".

ويبدو من الصيغة التي اتخذتها الوصية، على أهمية مضمونها، أن لينين في الوقت الذي كان على أبواب الرحيل لم يجد في الحزب من كان مؤهلاً لخلافته. وكان في موقفه ذلك يحاكي أقرانه من زعماء بلدانهم عندما يشرفون على الرحيل. وكانت الوصية تشير بوضوح إلى قلقه على المشروع الجديد الذي وضعه لروسيا الجديدة، بديلاً من المشاريع الرومانسية السابقة. فالسياسة الاقتصادية الجديدة (النيب)، لأهميتها وأهمية ما ارتبط بها من قرارات، كانت ستغير وجه روسيا لو أن لينين عاش عقداً إضافياً.

رحل لينين قبل أن يستكمل مشروعه. وخلفه على رأس السلطة السوفياتية ستالين الذي أكمل المسيرة على طريقته كقيصر شيوعي. وبدأ، منذ اللحظة الأولى التي أصبح فيها القائد الأول في الحزب، بتصفية حساباته مع خصومه. وكان تروتسكي الضحية الأولى. وظلّ يلاحقه بعد خروجه من البلاد إلى أن تمكن من قتله في منفاه في المكسيك في عام 1941، على يد أحد عملاء المخابرات السوفياتية. وظلّ يلاحق كل من كان يختلف معه في الرأي من قادة الحزب وكوادره، مستخدماً في القضاء عليهم طرقاً مختلفة بين السجن والنفي والقتل. وفي عام 1928 ألغى مراكز الأبحاث لكي يستأثر بالقرارات في شتى الميادين الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وسواها من الميادين ذات الصلة بحياة

البلاد. وقاد إلى الموت في ثلاثينات القرن أعداداً هائلة من الفلاحين عندما قرر بشكل قسري ومتعسف إنشاء التعاونيات الزراعية، الكولخوزات والسوفخوزات. لكنه، برغم كل ما اتصف فيه من عنف وعسف، فقد قاد البلاد في مراحل صعبة. وكبر الإتحاد السوفياتي تحت قيادته، وصار دولة عظمى في أعقاب الحرب العالمية الثانية التي قام فيها الجيش الأحمر بدور تاريخي عظيم مع الحلفاء في إلحاق الهزيمة بالنازية والفاشية. وتأسست منظومة إشتراكية عالمية بقيادته. وبدأ في عام 1948 يصدر المواقف الفكرية والسياسية والاستراتيجية من موقعه كمرجعية أحادية في كل الشؤون، يساعده في ذلك قارئ أفكاره جدانوف. وفي ذلك العام بالذات اتخذ قراره بفصل تيتو ودولة يوغوسلافيا من أسرة الدول الإشتراكية، مصنفاً إياه وكل من كان يدافع عنه بالخائن لأفكار الإشتراكية. وأقدم في مطلع خمسينات القرن على إعدام عدد من قادة الأحزاب الشيوعية في بلدان أوروبا الشرقية بتهمة الخيانة للإشتراكية.

استمرت التجربة الإشتراكية بعد وفاة ستالين، في الصواب وفي الخطأ، إلى أن انهارت بعد ثلاثة أرباع القرن من قيامها. وأحدث انهيارها زلزالاً عظيماً. وأكد انهيارها ما تنبأ به الزعيم الشيوعي الإيطالي تولىاتي في عام 1956 في أعقاب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي بقيادة خروتشوف حين قال بأن ثمة خلافاً بنيوياً في التجربة الإشتراكية. لكن التاريخ لم ينته بانهارها. ولم تنته أحلام وطموحات البشر في النضال لتحقيق سعادتهم، التي كانت مثل الإشتراكية، وستبقى، ملهماً لهم في نضالاتهم المقبلة. وستبقى ثورة أكتوبر واحدة من أعظم أحداث التاريخ في الألفية الثانية بعد الثورة الفرنسية، وأكثر ارتفاعاً منها في الأهداف وفي المهمات التاريخية. وسيبقى لينين، أية كانت المواقف منه ومن أفكاره ومن الطريق الذي سلكه للوصول إلى السلطة، ومن الطريقة التي تعامل بها مع رفاقه ومع خصومه، في الإتفاق وفي الإختلاف، سيبقى البطل الذي فتح القرن العشرين على مستقبل جديد غير مسبوق للعالم باسم الإشتراكية ستحتجج البشرية إلى زمن آخر لكي

تستعيد في شروطه طريقها إلى حريتها انطلاقاً من ذلك المشروع وتجاوزاً له في الشروط التاريخية القادمة.